

دلائل الإعجاز

" الحبيبُ أنت " أنَّهُ لا فصلَ بينك وبينَ مَنْ تحبُّهُ إذا صدَقَتِ المحبَّةُ وأنَّ -
مثلاً المتحابَّينَ - مثلاً نفسٍ يقتسمُها شخصان كما جاء عن بعض الحكماء أنه قال :
الحبيبُ أنتَ إلا أنه غيرُك فهذا - كما ترى - فرقٌ لطيفٌ ونكتةٌ شريفةٌ . ولو حاولتَ
أن تُفيدَها بقولك : أنت الحبيبُ حاولتَ ما لا يصحُّ . لأنَّ الذي يُعقِلُ من قولك :
أنت الحبيبُ هو ما عناه المتنبي في قوله - البسيط - :
(أَرَبْتَ الحبيبُ وليَكَذِّبي أَعُوذُ بِهِ ... مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا) غيرَ مُحِبُّوبٍ .

ولا يخفى بَعْدُ ما بينَ الغرضين فالمعنى في قولك : " أنت الحبيبُ " أنك أنت الذي
أَخْتَصَمَّهُ بالمحبة مِنْ بين الناس . وإذا كان كذلك عرفتَ أن الفرقَ واجبٌ أبداً وأنه
لا يجوزُ أن يكون " أخوك زيد " و " زيد أخوك " بمعنًى واحد .
وهاهنا شيءٌ يجبُ النظرُ فيه وهو أنَّ قولك : أنت الحبيبُ كقولنا : أنت الشجاعُ
تريدُ أنه الذي كَمَلت فيه الشجاعةُ . أو كقولنا : زيدُ المنطلقُ تريدُ أنه الذي كان
منهُ الانطلاقُ الذي سَمِعَ المخاطَبُ به . وإذا نظرنا وجدناه لا يحتمِلُ أن يكونَ كقولنا :
أنت الشجاعُ لأنَّه يقتضي أن يكونَ المعنى أنه لا محبَّةَ في الدنيا إلا ما هو به حبيبٌ .
كما أنَّ المعنى في " هوَ الشجاعُ " أنه لا شجاعةَ في الدنيا إلا ما تجدُه عندَه وما هو
شجاعٌ به وذلك محال .

وأمرٌ آخرٌ وهو أن الحبيبَ (فعيل) بمعنى مَفْعول . فالمحبَّةُ إذاً ليست هيَ له
بالحقيقة وإنما هي صفةٌ لغيره قد لا يستهـُ وتعلقتُ به تعلّقُ الفعلِ بالمفعول .
والصفةُ إذا وُصِفَتْ بالكمالِ وُصِفَتْ به على أن يرجعَ ذلك الكمالُ إلى مَنْ هي صفةٌ له
دونَ مَنْ تُلابسهُ مُلابسةَ المفعول . وإذا كان كذلك بَعْدُ أن تقولَ : أنت المحبوبُ على
معنى أنت الكاملُ في كونك محبوباً . كما أنَّ - بعيداً أن يقالَ - هو المضروبُ على معنى
أنَّه الكاملُ في كونه